رد شبهات ودحض مفتريات حول

خلفاء العصر العباسي الأول

السماع ـ الرقيق ـ الغلمان

دكتور

محمود عبده نور الدين

قسم التاريخ والحضارة ـ جامعة الأزهر

لجنة التحكيم

أ.د. / محمد محمد عبد القادر الخطيب لجنة علمية دائمة

أ.د. / محمد جبر أبوسعدة لجنة علمية محكمة

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات : ٦)

المقدمـــــة

يعد العصر العباسي الأول ، والذي استمر مائة عام تقريبا [١٣٢ ــ ٢٣٢هـــ / ٧٥٠ ــ ٨٤٧م] هو العصر الذهبي للخلافة العباسية ، التي تعد بدورها الحلقة المركزية الكبرى زمانا ومكانا في التاريخ الإسلامي وحضارته ، فقد امتدت زمانا أكثر من خمسة قرون [١٣٢ ــ ٦٥٦هـ / ٧٥٠ ــ ١٢٥٨م] أي ٥٢٤ سنة ، كما أنها أظلت العالم الإسلامي بأقاليمه المتعددة شرقا وغربا شمالا وجنوبا ، باستثناء بعض المناطق لمدد زمنية محدودة .

ومن ثم كان هذا العصر محط رحال الحاقدين ، ومرمى سهام الحاسدين ، وموطن شبهات الجاهلين ، قدامى ومحدثين ، مسلمين ومستشرقين .

وخلفاء هذا العصر هم رموزه وروؤس إدارته وسنام سياسته ، وهم كذلك من أبرز خلفاء الإسلام ورجالاته دينيا وسياسيا وإداريا ، ومن ثم فقد نالهم النصيب الأكبر من تلك السهام والشبهات . وقد ارتدت هذه السهام وتلك الشبهات أثوابا مختلفة ، وأغلفة متباينة ، ومثلت اتجاهات عديدة على المستوي الفردي والجماعي .

وبناء على ذلك كان من ضروريات البحث التاريخي ، تناول تلك القضية التي تبلغ درجة عالية من الحساسية ، ومن الوضع الديني والخلقي ، تناولا يبين كنهها ، ويظهر خفيها ، ويثبت صحيحها ويرد سقيمها ، ويوصل طيبها ويجتث خبيثها .

وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة في محاولة لعرض هذه القضية بأبعادها المختلفة من خلال ثلاثة محاور تمثل مجموعة من أبرز صور تلك الشبهات التي تتصل بالسلوك العام والجانب الأخلاقي والديني لدى الخلفاء ، وقد انتظمت تلك المحاور ثلاثة مباحث هي مجموع مباحث الدراسة ، والتي تلت المقدمة وختمت بنتائج البحث .

المبحث الأول : وهو الخاص بالسماع ، والمعني هنا هو سماع الأغاني والأشعار الماجنة وما شابه ذلك ، وذلك في ضوء محورين :

الأول : وقائع الروايات لهذا الأمر .

الثاني : دحض هذه الشبهة .

المبحث الثاني : وهو الخاص بالرقيق كشبهة أخرى رمى بها هؤلاء الخلفاء ؛ من ناحية الإكثار منه ــ ذكورا وإناثا ــ واستخدامه في السمر واللهو والغناء وما شاكله ، لاسيما الجواري والقيان ، بل رمى بعض الخلفاء بشبهة الغلمان ومعاملتهم معاملة الجواري ، وقد احتوي هذا المبحث على محورين :

الأول : وقائع الروايات التي تصور هذه الأمور .

الثاني : دحض هذه الشبهة في ضوء أربع نقاط .

ــ المدخل .

ــ مصدر الرقيق .

ــ موقف الخلفاء من الرقيق .

ــ أثر الرقيق في المجتمع العباسي .

المبحث الثالث : أما المبحث الثالث فهو خاص بالغلمان .

ثم تلا ذلك الخاتمة التي اشتملت النتائج ، ثم المصادر والمراجع .

محمود عبده نور الدين

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر ــ فرع أسيوط

المبحث الأول
السماع
وقائع الروايات

أما الاتهام الأول في هذا الإطار فهو السماع ؛ ليس مجرد السماع ، وإنما سماع ما يخدش الحياء ويؤذي الأخلاق ، ليس هذا فحسب أيضا ، وإنما اقتران هذا السماع بشراب محرم وبجواري وقيان ماجنات في مناخ من السمر وليالي الأنس التي شبهت بليالي ألف ليلة وليلة ، مع أن أبطال هذه الليالي هم ــ مجموعة من صفوة خلفاء الإسلام وقادته ومن أخلص رجالاته وأشدهم على أعدائه ، كما أنهم كانوا قائمين على الدين فكرا وتطبيقا في كل مناحي حياتهم بما يتناسب مع مكانتهم كقادة للأمة وحماة لها ولدينها ولخلقها وخلفاء لنبيها .

المهدي [١]: أما المهدي فإنه في إطار ما ذكر عن لهوه وإغراقه في الملاذ والشهوات ، فإنه يبدو من الطبيعي ما ذكره البعض ــ ضمن هذا الإطار ــ من سماعه للغناء وشهوته له . [٢]

الهادي [٣]: يصور كتاب الأدب الهادي بصورة الإنسان الغارق في نزواته وملذاته فهو عند ابن المعتز " منهمك " في الشرب والقصف "مشغوف " بالسماع . [٤] وفي روايات الأغاني شكس

---

[١] هو محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، ثالث الخلفاء العباسيين تولى الخلافة من سنة [١٥٨ــ ١٦٩هـ/ ٧٤٤ــ ٧٨٥م] ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، دار الكتاب العلمية ــ بيروت ــ ص ٢٨٧ ــ ٢٩٠ ، الطبري : تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٧٧ ــ ١٩٧٩م ، ج٨ص ١١٠ وما بعدها .

[٢] الشيخ محمد الخضري : الدولة العباسية ، المكتبة التجارية الكبري ، ١٩٧٠ ،ص ٩٤ ، د . مؤيد فاضل ، عن صلاح عبد الهادي مصطفى : المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول ص٨٣ .

[٣] هو موسى بن المهدي ، رابع الخلفاء العباسيين ، تولى بعد أبيه المهدي من سنة [١٦٩ــ ١٧٠هـ / ٧٨٥ــ ٧٨٦م] ، خليفة بن خياط : السابق ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤ ، الطبري : السابق ، ج٨ ص ١٨٧ وما بعدها .

[٤] ابن المعتز : طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨١م ، ص ١٣٢ .

الأخلاق صعب المزاج ، لا يحتجب عن ندمائه ولا عن المغنين ، وكان يكثر جوائزهم وصلاتهم . [٥]

ونراه في رواية أخرى يستمع الغناء للشاعر والمغني يوسف بن الحجاج ويعطيه ٦٠ ألف درهم على غناء غناه له ، بالرغم من أن هذا الشاعر ــ كما يصفه صاحب الأغاني ــ كان فاسقا مجاهرا باللواط وله فيه أشعار . [٦]

هارون الرشيد [٧]: أما الرشيد فيصوره بعض المستشرقين بأنه " ملك الليالي في ألف ليلة وليلة المتنكر في صورة أشبه ما تكون بشارلمان على الطريقة الشرقية " [٨] والأغاني مليء بالروايات التي تصور الرشيد بملك الليالي في ألف ليلة وليلة ، ولا يتحرج الكثير من تلك الروايات عن الاستخفاف بعقول المخاطبين أثناء عرضها لحياة الرشيد .

ومن أمثال هذه الروايات تلك التي تصور الرشيد وقد هب ليلة من نومه فركب حماراً له أسود قريب من الأرض فتوجه إلى المغني والنديم إبراهيم الموصلي وبين يديه ٤٠٠ خادم أبيض سوى الفراشين ، فنزل عليه في منزله فتلقاه متعجبا قائلا : يا أمير المؤمنين : أفي مثل هذه الساعة تظهر ! قال الرشيد : نعم ، شوق طرق لك بي ، ثم أحضر له إبراهيم طعاما فأكل منه يسيرا ثم دعا له بشراب ثم خيره إبراهيم بين أن يغني له هو أو الجواري ، فأمر الرشيد أن تغني الجواري ، فطرب الرشيد لغناء بعضهن وشرب أرطالا ، ثم ركب حماره وانصرف وقد التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضرك ألا تكون خليفة ! [٩]

والعجيب أن الذهبي يذكر ــ كما سبق ــ عن الرشيد أن " له أخباراً شائعة في اللهو

---

[٥] الأصفهاني : الأغاني ، ط الدار التونسية للنشر ــ تونس، دار الثقافة ــ بيروت ــ ١٩٨٣، جـ٣ ص١٦٨.

[٦] الأغاني :جـ٢٣ ص ٨٩ .

[٧] تولى الخلافة بعد الهادي من سنة [١٧٠ ــ ١٩٣هـ / ٧٨٦ــ ٨٠٨م] ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ص ٢٩٥ ــ ٣٠٨ ، الطبري : تاريخ الطبري ، ج٨ ص ٢٣٠ وما بعدها .

[٨] أندريه ميكيل : الإسلام وحضارته ، ت د . زينب عبد العزيز،المكتبة العصرية بيروت ــ ١٩٨١م،ص ١٣١

[٩] الأصفهاني : الأغاني ، جـ٥ ص ١٩٨ ــ ٩ بإيجاز .

واللذات والغناء " ثم يعقب بقوله : " والله يسمح له " . [١٠]

المأمون [١١]: وفي إحدى الصور الكثيرة في " الأغاني " يظهر المأمون ومعه عشرون جارية عشر منهن عن يمينه وعشر عن شماله ، وجميعهن يضرب بالعيدان . [١٢]

الواثق [١٣]: أما الواثق فيروى صاحب " الأغاني " ــ فيما يروي ــ أن المغنين جميعا كانوا يحضرون مجلسه وعيدانهم معهم ، إلا إسحاق ــ ابن إبراهيم الموصلي ــ فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة . [١٤]

---

[١٠] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق محب الدين العمروى ، دار الفكر ــ بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

[١١] هو عبدالله بن هارون الرشيد تولى بعد أخيه الأمين من سنة [١٩٨ ــ ٢١٨هـ / ٨١٣ ــ ٨٣٣م] ، خليفة بن خياط : تاريخ الخليفة ، ص ٣١٠ ــ ٣١٥ ، الطبري : تاريخ الطبري ، ج٨ ص ٥٢٧ وما بعدها.

[١٢] الأصفهاني : الأغاني ، جـ٥ ص ٢٥٧ .

[١٣] آخر خلفاء العصر العباسي الأول ، تولى من سنة [٢٢٧ــ ٢٣٢ هـ / ٨٤١ــ٨٤٦م] ، خليفة بن خياط: السابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٩ ، السابق ، ج٩ ص ١٢٣ وما بعدها .

[١٤] الأصفهاني : السابق ،جـ٥ ص٢٥٩ .

دحض هذه الشبهات

إذا سلمنا بما جاءت به الروايات عن سماع بعض الخلفاء للشعر المصحوب بلحن من الألحان ، فيما أسموه غناءً ، فإن ثمة حقائق يجب تبيانها حتى تتضح صورة سماع هؤلاء الخلفاء على حقيقتها التي تعمد الكثيرون من القدامى ومن سار على دربهم من المحدثين والمعاصرين استبدال صور ماجنة بها ، أو على الأقل تشويهها للنيل من هؤلاء الخلفاء .

أولا : سماع الجيد من الشعر

وذلك أن الخلفاء لم يكونوا ليلوثوا آذانهم ويدنسوا قلوبهم بأراذل الكلام وقبيح المعاني ، بل إنهم كانوا ينأون بأنفسهم عن ذلك تماما ، ولا يسمعون شيئًا مما يخدش الحياء أو يسيء إلى الأخلاق أو ما يشابه ذلك ـــ على ضوء صحيح الأخبار ـــ ولا يسمحون بقوله أو سماعه لغيرهم ، وإنما يسمعون ما يمتع سمعهم ويسد حاجة حسهم العربي الأدبي الرفيع ، وبعضهم شعراء ؛ فالمهدي كان ينهي بشار بن برد عن ذكر النساء والعشق . وذات مرة قال بشار شعراً لم يعجب المهدي ورآه يحض على الفجور وإيذاء المحصنات ، فأحضره المهدي وهدده وقال له : أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبآت ، والله لئن قلت بعد هذا بيتا واحداً في نسيب لآتين على روحك . وقد روى صاحب الأغاني هذا الاتجاه عند المهدي في أكثر من موضع من كتابه [١٥] ، أما الهادي فكان كما يقول الطبري وصاحب الأغاني ـــ يشتهي ما توسط من الغناء وقل ترجيعه ولم يبلغ درجة الاستخفاف [١٦] والرشيد كان يحب الشعر من الشاعر الفصيح [١٧] . وهكذا سائرهم .

---

[١٥] الأصفهاني : الأغاني ، جـ٣ ص ١٣٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ .

[١٦] تاريخ الطبري : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ـــ مصر ١٩٧٧ ـــ ١٩٧٩م ، جـ١٠ ص ٢٢٦ ـــ ٧ ، الأغاني جـ٦ ص٢٧٠ .

[١٧] السابق .

ثانيا : قلة السماع

من يمعن النظر ويرجع البصر في تاريخ هؤلاء الخلفاء وسيرهم وطبيعة حياتهم ، يوقن بأن مثل هذه الأمور لابد أن تقتصر على أقل الحدود الزمنية في برامجهم الحياتية ، فهم قادة لأمة بلغت من العدد والاتساع المكاني والامتداد الزماني ما يشغل قائدها وخليفتها في كل وحدات زمانه ، وذلك بما تعج به هذه الأمة بمكانها وزمانها وتعدد أجناس سكانها وتباين مذاهبهم ودياناتهم وظروفهم ، فضلا عن علاقاتهم الخارجية التي كانت في جل وقتها صراعاً وحروباً على الثغور والحدود ، ثم انشغال هؤلاء — على جانب آخر — بعبادتهم وشعائر دينهم . فهم إلى جانب هذه المسئولية ، خلفاء نبي الأمة وأقرباؤه والقائمون على رسالته ، وهذا يتطلب منهم أن يكونوا على مستوى هذه المسئولية ، وعلى قدر هذه المكانة الدينية ومقدارها ، فمنهم من يصلي في اليوم مائة ركعة مثل الرشيد ، وهو الذي يغزو عاماً ويحج عاما ، غير تنقله في الولايات وشغله بالفتن والثورات الداخلية ، فللمرء أن يتصور ما يمكن أن يتسع له وقت هذا الخليفة بالنسبة لمجال السماع أو غيره .

ومنهم من ينقطع عن هذا السماع فترات طويلة ، مثل المأمون الذي استمر عشرين شهراً — بعد قدومه إلى بغداد — لا يسمع حرفا من الأغاني ، كما يروى الجاحظ ومن بعده أبو الفرج الأصفهاني نفسه . [١٨]

ثالثا : السماع من وراء الستارة

مع أن هذا السماع لم يكن إلا مع الخواص من الندماء والمغنين والمقربين ، إلا أن الخلفاء حافظوا على أن يكون الإطار في صورة كاملة من الخلق والوقار والهيبة ، وبمنأى عن صور الابتذال الخلقي ، وأشكال المجون السمري والخدش الذي يذهب الحياء وما شاكل ذلك وشابهه ، ومن أهم ما قاموا به من أجل ذلك ، بعد انتقاء ما يسمعون من الشعر ، هو حجب أنفسهم عن الندماء والمغنين

---

[١٨] الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكي باشا — القاهرة ١٩١٤م ، ص٤١ ، الأغاني : جـ٥ ص٣٤٩ .

من خلال الستارة .

فالسفاح كان يحضر الغناء من وراء ستارة كما يقول الذهبي[١٩] ، وكانت المسافة بين الخليفة وقائل الشعر أو المغنى أربعين ذراعاً تتوسطها الستارة ، ومن ذلك ما رواه الجاحظ عن المنصور ؛ إذ ذكر أنه كان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً ، وبين الستارة والندماء مثلها ، فإذا غناه المغني فأطربه ، حركت الستارة بعض الجواري فاطلع إلى الخادم صاحب الستارة فيقول : قل له أحسنت ! بارك الله فيك ، كما أن المنصور لم يظهر لنديم قط . [٢٠]

كما كان المهدي يسمع المغنين جميعاً من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلا فليح بن أبي العوراء ، فقد أذن له برفع الستارة بينهما وذلك عندما غناه : [٢١]

يا أمين الإله في الشرق والغر ب على الخلق وابن عم الرسول

مجلسا بالعشي عندك في الميـ ـدان أبغي والإذن لي الوصول

والرشيد كذلك كان يسمع الغناء ــ إن كان ثمة غناء يسمعه ــ من وراء الستارة أيضا [٢٢] ، وكان على الستارة قائم بما يطلقون عليه أحيانا صاحب الستارة . [٢٣]

بل إن الأمر ليصل إلى حد من العفة والحياء لدى الخلفاء لا يمكننا توقعه وهو استخدام الستارة أو الستر حتى في السواك ، ففي صدر رواية للبغدادي عن عبد الله بن البواب قال : " جلس المأمون يستاك على دجله من بغداد من وراء ستره .... " . [٢٤]

---

[١٩] سير أعلام النبلاء : جـ٦ ص٣١٢ .

[٢٠] التاج في أخلاق الملوك : ص٣٢ .

[٢١] الأصفهاني : الأغاني، جـ٤ ص٣٦٢ .

[٢٢] السابق ، جـ٤ ص٣٦٣ .

[٢٣] السابق ، جـ٦ ص ٢٨٤ .

[٢٤] البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ بدون تاريخ الطبع ، جـ١٠ ص١٨٩ .

المبحث الثاني
الرقيق

وقائع الروايات

يطيب للكثيرين أن يصوروا المجتمع بطبقاته المختلفة وهو يعج بمختلف أنواع الرقيق ، يتساوى في ذلك الخلفاء والأمراء والوزراء والعامة ، بغرض الخدمة أو الغناء أو التسلية أو الإتجار .... إلخ . [٢٥]

فيرى البعض أن البيوت ما كانت تخلو غالباً من رقيق ، جارية أو غلام ، وأنهم من أجناس مختلفة وديانات مختلفة وثقافات مختلفة .... فقد تكون الجارية نصرانية تلبس الصليب والزنار ، وتلبس لبسها القومي وتتكلم بلغتها ولا تحسن العربية . [٢٦]

كما كانت قصور الوزراء والأمراء تمتلئ بالجواري حتى ليروى أنه كان لتعابة زوج يحيى ابن خالد البرمكي مائة وصيفة ، لبوس كل واحدة منهن وحليها خلاف لبوس الأخرى وحليها ، ويفيض كتاب الأغاني بأخبارهن في دور علية القوم وفي دور النخاسة والقيان ، ويصور كيف كان يغشى الدور الأخيرة الشعراء ، والجواري يستصبين قلوبهم وكثيرا ما يقع حب جارية في قلب شاعر ويصبح محنة لا يجد إلى التخلص منها سبيلا ، وكان من الشعراء من يقاوم إغراءهن ، ولكنه يغاديهن صباح مساء مفتونا بهن . وعلى هذا النحو كانت دور النخاسة والقيان معارض للجمال ، وهي معارض مفتوحة ليلا ونهاراً يجتمع فيها الفتيان من الشعراء وغير الشعراء يتملون بالجمال ومفاتنه . [٢٧]

---

[٢٥] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ، جـ١ ص١٠٥ .

[٢٦] السابق ، ص ١٠٧ .

[٢٧] د . شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٨٦م ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

وبذلك تحولت كثرهن إلى أدوات فتنة وإغراء وريبة ومجون وعبث ، وأخذن يتفنن في الحيل التي يجذبن بها قلوب الرجال من شعراء أو غير شعراء . مداعبات لهم بالتبسم وغامزات بطرف العين وناشطات معهم بالسكر . ولم تكن الواحدة منهن تكتفي برجل واحد ، فقد كن يستكثرن من اتخاذ الخلان سالكات إلى ذلك طرقا مستقيمة ومعوجة ، ووصف ذلك الجاحظ فقال : " ربما اجتمع عند القينة من معشوقيها ثلاثة أو أربعة ... فتبكي لواحد بعين وتضحك للآخر بالأخرى ، وتغمز هذا بذاك وتعطي واحداً سرها والآخر علات وتوهمه أنها له دون الآخر وأن الذي يظهر خلاف ضميرها ، وتكتب لهم عند الانصراف كتباً على نسخة واحدة ، تذكر لكل واحد منهم تبرمها بالباقين وحرصها على الخلوة به دونهم . [٢٨]

ولم يكن الخلفاء بمنأى عن هذا الإطار ، فقد وجهت إليهم السهام ، ووضعوا داخل سياج من الجواري والقيان بغنائهن ولهوهن ، في صور ماجنة مبتذلة شارك فيها شعراء الدعارة والمجون .

ومن ذلك ما رواه ابن المعتز ــ وغيره ــ عن مجالس المهدي مع جواريه بمصاحبة بشار ابن برد الذي كان أنيس مجلسه ، يدنيه ويجزل له العطاء ، وكان معجبا به وبشعره . وبشار هذا كان كفيفا قبل موته بأربعين سنة ــ كما يذكر ابن المعتز ــ وأن حضوره مجالس الأنس هذه لأنه لا يبصر . [٢٩]

ومما ذكره ابن المعتز أيضا وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهما [٣٠] ، أن المهدي اطلع يوما على بعض جواريه ، وهي عريانة تغتسل ، فأحست به ، فضمت فخذيها ، وسترت متاعها بكفيها ، فلم يشملاه ، حتى انثنت فسترته بعكن بطنها ، فخرج المهدي ضاحكا ، وبشار في الدار ، فقال : أجز هذا البيت :

أبصرت عيني لحيني

---

[٢٨] د . شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص ٧١ .

[٢٩] طبقات الشعراء : دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨١م ، ص ٢١ ــ ٢٢ .

[٣٠] السابق : ص ٢٣ ــ ٢٤ . والأغاني : جـ٣ ص٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

فقال بشار على البديهة :

..... منظـــــراً وافـــــق شـــــيني

ســـــــــترته إذ رأتـــــــــني تحـــــت بطـــــن الـــــراحتين

فبـــــــدت منـــــــه فـــــضول لم تـــــــــوار باليـــــــــدين

فانثـــــــت حـــــــتى تـــــوارت بـــــين طـــــي العكنـــــتين

فقال المهدي : والله ما أنت إلا ساحر ، ولولا أنك أعمى لضربت عنقك ، ولقد حكيت الأمر على وجهه حتى كأنك رأيته ، ولكني أعلم أن ذلك من فرط ذكائك ، وجودة فطنتك .

وتصور إحدى روايات الطبري الهادي وقد قدم إحدى جواريه على اهتمامه بالخلافة وأمر الأمة ، فقد ذكرت الرواية أنه كان للمهدي جارية وكانت حظية عنده ، وكانت تحبه وهو بجرجان[٣١] ــ وكان ــ قد ذهب إليها بتوجيه المهدي ، وقد كتب إليه بأبيات منها :

يـــــا بعيـــــد المحمـــــل أمـــــ ـــــي بجرجـــــان نـــــازلا

فلما جاءت البيعة إلى الهادي ، وانصرف إلى بغداد ، لم يكن له همة غير هذه الجارية فدخل عليها وهي تغني بأبياتها ، فأقام عندها يومه وليلته قبل أن يظهر لأحد من الناس . [٣٢]

ومن ذلك : ما رواه أبو الفرج الأصفهاني ، من أن الرشيد أعطى ــ ذات مرة ــ جميع المال الذي جبى من ناحية الموصل إلى امرأة واحدة من جواريه . [٣٣]

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن قتيبة وابن المعتز وغيرهما عن ما كان بين الرشيد وإحدى جواريه

---

[٣١] مدينة عظيمة مشهورة بالقرب من طبرستان ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ــ بيروت ــ بدون تاريخ الطبع ، ص ٣٤٨ ــ ٣٥٠ .

[٣٢] تاريخ الطبري : جـ٨ ص١٨٩ ــ ١٩٠ .

[٣٣] الأغاني : جـ٤ ص٦٩ .

حيث حدث بينهما خصام وفرقة ، كاد الرشيد " يتلف " بسببها وقد جاءت الرواية على هذا النحو :

" أن الرشيد هجر جاريته ماردة وهي أم المعتصم ، وكاد يموت من عشقها ، فتكبر أن يبدأها بالصلح ، وتكبرت هي أيضا ، فصبرا على ذلك بأمَرِ عيش وكاد الرشيد يتلف . وكان وزيره الفضل بن الربيع ، فأحضر الفضل العباس بن الأحنف ، وعرفه القصة وقال : قل في ذلك شيئا ، فقال :

العاشقان كلاهما متجنب وكلاهما متعتب متغضب

صدت مهاجرة وصد مهاجراً وكلاهما مما يعالج متعب

إن التجانب إن تطاول منهما دب السلو له فعز المطلب

فبعث إليه الفضل بالأبيات ، فسر بها سروراً ، ولم يستتم الرشيد قراءتها حتى قال [العباس] أيضا بيتين في ذلك وهما :

لابد للعاشق من وقفة تكون بين الوصل والصرم

حتى إذا الهجر تمادى به راجع من يهوى على الرغم

فاستحسن الرشيد إصابته حالهما ، وقال : والله لأصالحنها كما قال : وعرفت ماردة السبب في الشعر ، ولم تدر من قائله فسألت الرشيد فقال : لا أدري من صاحب الشعر ولكن الفضل بن الربيع بعث به ، فأرسلت إلى الفضل تسأله ، فأعلمها ، فأمرت له بألف دينار ، وأمر له الرشيد بألفي دينار ، وأمر له الفضل بخمسمائة دينار . [٣٤]

وتصوره رواية أخرى وقد استحوذ حب الغانيات عليه فملكن قلبه ، وشغلن حياته ، وأمسك حبهن بعنانه ، بل إن سلطان الهوى لهن أعز من سلطان الخلافة !! وقد جاء هذا التعبير في الرواية على لسان الرشيد وهو يعاني من هوى ثلاث منهن إذ يقول : [٣٥]

---

[٣٤] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، جـ٢ ص٨٣١ ، وابن المعتز " طبقات الشعراء ص٢٥٥ ــ ٢٥٦ ، والنص لابن المعتز .

[٣٥] البغدادي : تاريخ بغداد ، جـ٤ ص١٢ .

ملـــك الـــثلاث الغانيـــات عنـــاني وحللـــن مـــن قلـــبي بكـــل مكـــان

مـــالي تطـــاوعني البريـــة كلـــها وأطـــيعهن وهـــن في عـــصيان

مـــا ذاك إلا أن ســـلطان الهـــوى وبـــه قـــوين أعـــز مـــن ســـلطاني

وفي صورة تتطابق تماما مع ما رواه ابن المعتز وأبو الفرج الأصفهاني ، عن المهـدي وإحـدى جواريه وبشار بن برد ، يروى ابن عبد ربه عن الأمين وجارية له وثلاثة من الشعراء ، تجمع الصورتين قوالب واحدة ومنهج واحد ، وقد جاءت الصورة عند ابن عبد ربه كالآتي : " بينما محمد بن زبيدة — الأمين — يطوف في قصر له ، إذ مر بجارية له سكرى ، وعليها كساء خز تسحب أذياله فراودها عن نفسها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا على ما ترى ، ولكن إذا كان فـي غـد إن شاء الله ! .

فلما كان من الغد مضى إليها فقال لها : الوعد ! فقالت يا أمير المؤمنين ، أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار ؟ فضحك وخرج إلى مجلسه فقال : من بالباب من شعراء الكوفـة ؟ فقيـل لـه : مصعب ، والرقاشي ، وأبو نواس ، فأمر بهم فأدخلوا عليه فلما جلسوا بين يديه قال : ليقل كل واحد منكم شعراً يكون آخره :

كلام الليل يمحوه النهار

فأنشأ الرقاشي يقول :

مـــتى تـــصحو وقلبـــك مـــستطار وقـــد منـــع القـــرار فـــلا قـــرار

وقـــد تركتـــك صـــبا مـــستهاما فتـــاة لا تـــزور ولا تـــزار

إذا اســـتنجزت منـــها الوعـــد قالـــت كـــلام الليـــل يمحـــوه النـــهار

وقال مصعب :

أتعـــذلني وقلبـــك مـــستطار كئيـــب لا يقـــر لـــه قـــرار

بحب مليحة صادت فؤادي بألحاظ يخالطها أحورار

ولما أن مددت يدي إليها لألمسها بدا منها نفار

فقلت لها عديني منك وعداً فقالت : في غد منك المزار

فلما جئت مقتضياً أجابت : كلام الليل يمحوه النهار

وقال أبو نواس :

وخود أقبلت في القصر سكرى ولكن زيد السكر الوقار

وهز المشي أردافا ثقالا وغصنا فيه رمان صغار

وقد سقط الردا عن منكبيها من التخميش وانحل الإزار

فقلت الوعد سيدتي ، فقالت : كلام الليل يمحوه النهار

فقال له : أخزاك الله ! أكنت معنا ومطلعا علينا ؟ فقال يا أمير المؤمنين عرفت ما في نفسك ، فأعربت عما في ضميرك . فأمر له بأربعة آلاف درهم ، ولصاحبيه بمثلها . [٣٦]

المأمون : ولم يكن المأمون ــ تبعاً لهذا التصور ــ ببعيد من أبيه في عشقه للغانيات وولعه بهن ، واستحواذ هواهن وعشقهن عليه .. لقد تضاءل المأمون الخليفة بسلطانه الذي يسد الآفاق ، وملكه الذي يعم الأنحاء ، ليسقط في براثن جارية يملكها ضمن المئات أو الآلاف من جنسها ، وهي لا ترحمه ولا تكرمه ، بل ترفض السلام عليه والرجوع إليه ؛ فيستعطفها حتى لا يقتله عشقها ؛ فيبقى الناس ليس لهم إمام .

قال ابن عبد ربه في روايته : عتب المأمون على جارية من جواريه وكان كلفًا بها ــ فأعرض عنها وأعرضت عنه ، ثم أسلمه الهوى وأقلقه الشوق ، حتى أرسل يطلب مراجعتها ، وأبطأ عليه

[٣٦] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ، جـ٥ ص١١٥ ــ ١١٦.

الرسول ، فلما رجع أنشأ يقول :

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة ... وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مقربا ... فيا ليت شعري عن دونك ما أغنى
ونزهت طرفا في محاسن وجهها ... ومتعت باستظراف نغمتها أذنا
أرى أثرا منها بعينيك لم يكن ... لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا!
فيا ليتني كنت الرسول وكنتني ... وكنت الذي يقضي وكنت أنا المدني

ثم إن المأمون أقبل مسترضيا لها ، فسلم عليها فلم ترد عليه السلام ، وكلمها فلم تجبه فأنشأ يقول : [٣٧]

تكلم ، ليس يوجعك الكلام ... ولا يؤذى محاسنك السلام
أنا المأمون والملك الهمام ... ولكني بحبك مستهام
يحق عليك أن لا تقتليني ... فيبقى الناس ليس لهم إمام !

[٣٧] السابق ، جـ٥ ص ١١٣ ــ ١١٤ .

دحض هذه الشبهة

مدخل

جاء تصوير حياة الخلفاء العباسيين ومجتمعهم بمختلف طبقاته ، بأنها حياة يغمرها الترف ويغشاها المجون ، والرقيق ، لاسيما الجواري والقيان، من أهم مظاهر هذا الترف ، كما أنه مصدر لذاك المجون . والرقيق نوعان :

النوع الأول : وهو الذكور .

النوع الثاني : وهو الإناث .

وما يهمنا هنا هو النوع الثاني من الرقيق وهو الإناث ، من الجواري والقيان ، والقيان هن اللاتي يتقن الغناء من الجواري ، والجواري والقيان يمثلن جانباً من جوانب الحياة الخاصة في العصر العباسي لدى كافة طبقات المجتمع بما في ذلك الخلفاء مروراً بالوزراء والأمراء والعمال والحجاب والعلماء والشعراء وفي عامة المجتمع العباسي على اختلاف أجناس هذا العصر وتباين دياناته ومذاهبه .

والرقيق عموما ــ بنوعيه ــ إحدى طبقات المجتمع في العصر العباسي ، والمجتمع العباسي هنا ليس بدعا من المجتمعات الأخرى ، فأمر الرقيق على هذا النحو ، بل على أكثر من هذا ، كان شائعا لدى الأمم الأخرى السابقة والمعاصرة للعباسيين وكما يقول آدم متز : كان اتخاذ الرقيق منتشرا عند اليهود والنصارى والمسلمين ، [٣٨] وعلى حين أن القوانين في الدولة الرومانية ــ البيزنطية ــ كانت تحرم على غير النصراني أن يتخذ رقيقا من النصارى ، وأن الكنيسة المسيحية كانت في بلاد الإسلام تعاقب بالحرمان من بيع الرقيق النصراني لغير النصارى ، فإن الشريعة الإسلامية لم تحرم على اليهود والنصارى اتخاذ رقيق من المسلمين . [٣٩]

---

[٣٨] آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ت: محمد عبد الهادي أبو ريدة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م ،جـ١ ص٢٢٣ .

[٣٩] آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جـ١ ص٢٢٤ .

مصدر الرقيق

عندما جاء العباسيون كان وجود الرقيق واقعا في المجتمع الإسلامي ، وغيره من المجتمعات الأخرى ، في الأروقة السياسية ، والمؤسسات العسكرية ، والأوساط الاجتماعية ، ويرجع وجود الرقيق بهذه الكثافة إلى مصدرين أساسين ، وهما : التجارة والحروب ، فضلا عن مصادر ثانوية أخرى مثل الهدايا .

أولا : التجارة

إذ كانت تجارة الرقيق منتشرة في أماكن كثيرة داخل ممالك الدولة العباسية وخارجها ، وكان ببغداد أسواق للرقيق ، وتجار معروفون له أيضا ، مثل أحمد بن الحارث البغدادي الذي كان نخاساً وأديباً بارعاً وظريفا كما يصفه ابن المعتز ، وربما اجتمع عنده بمائة ألف دينار رقيق ، وكان يعامل الخلفاء والوزراء . [٤٠]

وقد سمى شارع ببغداد باسم دار الرقيق كانت توجد به ، وقد وقعت موقعة كبيرة بهذا الشارع في أثناء الصراع بين قوات الأمين وقوات المأمون ذكرها المسعودي ، وسجلها أحد الشعراء أثناء تصويره لحال بغداد أثناء هذا الصراع إذ يقول :

بكت عيني على بغداد لما ... فقدت غضارة العيش الأنيق

تبدلنا هموما من سرور ... ومن سعة تبدلنا بضيق

إلى أن بلغ قوله :

فلا ولد يقيم على أبيه ... وقد هرب الصديق عن الصديق

---

[٤٠] طبقات الشعراء : ص ٤٦ .

ومهمـــا أنـــس مـــن شـــيء تـــولى فـــإني ذاكـــر دار الرقيـــق[٤١]

ويذكر البعض أن سمرقند[٤٢] كانت أكبر مصدر للرقيق الأبيض[٤٣] ، كما كـان الرقيـق يجلب من أماكن أخرى مثل الهند ووسط آسيا عموما ، وإفريقيا ، ومن الدولة البيزنطية ، وعلى ذلـك كان التنوع الجنسي والتباين الديني والمذهبي ، والاختلاف الشكلي واللغوي والثقافي ، وكان يطلـق على تاجر الرقيق لفظ نخاس أما تجار الرقيق في أنحاء أوربا فكانوا من اليهود .[٤٤]

ثانيا : الحروب

والحروب أيضا هي أحد المصدرين الرئيسيين للرقيق ، وقد كانت هذه الحروب قائمة معظـم أوقات العصر العباسي الأول بين الخلافة والدولة البيزنطية ، فيما عرف في المـصادر العربيـة باسـم الصوائف ، والشواتي أحيانا ، وحرب الثغور ، فضلا عن حروبها مع بعض ممالك آسيا ، وأحيانا بعـض دول إفريقيا ، وذلك من خلال عمال الأقاليم وقواد الجيش ، وكانت تلك الحروب تدر ـــ فيما تـدر ـــ عدداً كبيراً من الأسرى ـــ ذكوراً وإناثاً ـــ سرعان ما يتحولون إلى رقيق بحكم قانون الحرب وربما يكون بعض هؤلاء الأسرى رقيقا في أصله .

وهكذا أصبح وجود الرقيق واقعا مفروضا في هذا العصر ، في نواحي الحياة المختلة ، سياسيا وعسكرياً واقتصاديا ، واجتماعيا ، كما أصبح الخلفاء وسائر المجتمع أمام حقائق خاصة بالرقيق وهي :

---

[٤١] المسعودي : مروج الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار المعرفة ـــ بيروت ١٩٨٣م، جـــ٣ ص٤١٣ ـــ ٤١٤.

[٤٢] مدينة مشهورة فيما وراء نهر جيحون ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٣٥ ـــ ٥٣٧ .

[٤٣] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، جـــ١ ص١٠٣ .

[٤٤] السابق ، ص ١٠٣ .

١ ــ إنه واقع قبل وأثناء هذا العصر .

٢ ــ كثرة الرقيق وتنوعه .

٣ ــ الحاجة الماسة لاستخدامه .

٤ ــ إجازة الشريعة الإسلامية لهذا الاستخدام في صور كثيرة .

وفي هذا الإطار تعامل خلفاء هذا العصر مع الرقيق بناء على هذه الحقائق ، وكان الرقيق ينعمون بقسط كبير من الرغد والترفه ، لاسيما في دور الخلافة وغيرها من قصور الأمراء والوزراء كما كانوا يصلون إلى المراتب العليا في الدولة ، والعصر العباسي الثاني مليء بالأمثلة على ذلك ، ومن النماذج ــ كافور الأخشيدي الذي بيع بـ١٨ دينار [٤٥] ، حيث أصبح في حين من الدهر يملك مصر .

والربيع بن يونس الذي كان وزيراً للمنصور ــ العصر العباسي الأول ــ والذي يذكر الجهشياري أنه كان ينسب إلى أبي فروة مولى عثمان بن عفان ، وقيل مولى للحرث حفار القبور بمكة ، والحرث مولى عثمان ، بل قيل إنه ــ الربيع ــ لقيط ، وصحح ابن طباطبا نسبه إلى أبي فروة [٤٦] وكذلك الفضل بن الربيع ــ ابنه ــ الذي ولاه المنصور ، الحجابة مع ولاية أبيه الوزارة [٤٧] كما أن أمهات معظم خلفاء هذا العصر من الجواري اللاتي أصبحن بولادتهن أمهات أولاد ، وهن أم المنصور وهي حبشية بربرية [٤٨] ، وأم الهادي والرشيد رومية تسمى الخيزران ، والتي كانت تمثل مركزاً من أهم مراكز القوى منذ عهد المهدي .

وأم المأمون فارسية تسمى مراجل [٤٩] ، وأم المعتصم تسمى ماردة[٥٠] ، وأم الواثق رومية

---

[٤٥] أحمد أمين : ضحى الإسلام ،جـ١ ص ١٠٣ .

[٤٦] الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٧٧ ، والحرث هو الحارث عند الجهشياري ، الوزراء والكتاب، ص١٢٥

[٤٧] الجهشياري : السابق ، ص ١٢٥ .

[٤٨] ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨٢ ، ص٣٧٧ .

[٤٩] المسعودي : مروج الذهب، جـ٤ ص٤ .

تسمى قراطيس [٥١] ولم يبق من أمهات خلفاء العصر إلا أم السفاح والمهدي والأمين .

ومن المعروف أن بعض الخلفاء كانوا يقربون بعض الجواري منهم ويرفعوا شأنهن كثيراً من خلال هذا القرب ، فضلاً عن كون الكثيرات أصبحن أمهات لأولاد الخلفاء ، أي أنهن سيصبحن حرائر بعد موت الخليفة ، وهو في حياته لا يجوز أن يتصرف بهن مثل الجواري الأخريات بالبيع مثلا أو الهبة أو الإهداء .... إلخ ، وهو التكريم الذي يحظين به في الإطار الإسلامي ، ممثلا هنا في الخلافة العباسية ، فضلا عن منح هؤلاء الرقيق ــ ذكوراً وإناثاً ــ الحريات الكاملة في العقيدة واللغة والعادات والتقاليد .

موقف الخلفاء من الرقيق

لم يكن موقف الخلفاء العباسيين من الرقيق مثل غيرهم من أفراد المجتمع ، فالمجتمع يستخدم الرقيق لأغراض تتفق في بعضها مع أغراض الخلفاء ، وتتباين في بعضها الآخر ؛ فمن الأغراض المتفق عليها بين الخلفاء وغيرهم من طبقات المجتمع :

١ ــ الخدمة في القصور والدور المختلفة .

٢ ــ الحديث والسمر بالنسبة لبعض الخلفاء لملكهم لهن .

٣ ــ الاستمتاع بهن واتخاذهن أمهات أولاد بحكم ملك اليمين .

٤ ــ كن يمثلن هدايا وعطاءات للآخرين .

والخلفاء أولى بخدمة هؤلاء من غيرهم ، وباقتنائهم ــ ذكوراً وإناثاً ، وهذا أمر مباح لهم شرعا ــ كما هو مباح لغيرهم .

أما الأغراض الأخرى التي تفرد بها الخلفاء دون غيرهم

١ ــ الرقيق جزء أساسي من الجيش : فمن المعروف أن الموالي لاسيما من الفرس من

---

[٥٠] الطبري : تاريخ الطبري ، جـ ص١٢٣ .

[٥١] السابق ، جـ٩ ص١٥٠ ــ ١٥١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٩ ص٦٣ .

خراسان وغيرها كان لهم دور كبير في الجيش العباسي ، لاسيما في مرحلة قيام الدولة وإعلائها في خراسان والعراق ، ثم العنصر التركي والذي كان يشتري من مدن كثيرة مثل سمرقند وفرغانة[٥٢] واشروسنة وغيرها ، وقد بنى لهم المعتصم مدينة سامراء لما كثروا ونال آذاهم أهل بغداد .

٢ ــ استخدام هؤلاء الرقيق ــ ذكوراً وإناثاً ــ من غير المسلمين ، في فداء المسلمين واستنقاذهم من الروم [البيزنطيين] .

٣ ــ اقتناء الأدبيات الشاعرات ؛ فمن ذلك غريب جارية المأمون ، التي يقول عنها ابن المعتز أنها كانت من أحسن الناس وجهاً ، وأفصحهن لسانا وأبلغهن بيانا وأصنعهن كفاً ، وكانت شاعرة مفلقة مطبوعة ، ومما رواه لها ابن المعتز قولها :

من صاحب الدهر لم يحمد تصرفه غبا وللدهر إحلاء وإمرار

وكل شيء وإن طالت إقامته إذا انتهى فله لابد إقصار[٥٣]

ويذكر أن غريب هذه كانت عند الأمين من قبل فاشتراها المأمون ، بـ ١٠٠ ألف درهم ثم اشتراها المعتصم بنفس الثمن بعد وفاة المأمون [٥٤] إلا أن البعض يذكر أنها بيعت بـ ٥ آلاف دينار . [٥٥]

فهؤلاء الخلفاء ..أدباء ، ومنهم الشعراء ، أصحاب ذوق رفيع ، وحس مرهف ، والأمر لا يقتصر على مجرد كونها جارية ، وقد بلغ الأمر بصاحب الأغاني بوضع باب أسماه " أغاني الخلفاء وأولادهم[٥٦] ، ومن هؤلاء الواثق [٥٧] ، كما أن الصولى في كتابه الأوراق ، خص قسما أسماه "

---

[٥٢] قال عنها القزويني : ناحية مشتملة على بلاد كثيرة فيما وراء النهر ، متاخمة لبلاد الترك ، أهلها من أتم الناس أمانة وديانة على مذهب أبي حنيفة ، وأحسن الناس صورة ،"آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦" .

[٥٣] طلقات الشعراء : ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦ .

[٥٤] د . شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص٦٠ ، عن الأغاني ،جـ١٨ ص١٨٢ .

[٥٥] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، جـ١ ص١٠٩ .

[٥٦] الأصفهاني : الأغاني ، جـ٩ .

أشعار أولاد الخلفاء " وذكر فيه أشعار لأولاد أبي العباس السفاح ، والمنصور ، والمهدي ، والهادي والرشيد . والأمين ، والمعتصم ، بالنسبة للعصر العباسي الأول ، فضلا عن أولاد بعض خلفاء العصر العباسي الثاني . [٢]

٤ ــ إظهار عظمة الإسلام : ومن ذلك ما حدث عند وصول رسولين من ملك الروم إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله في سنة [٣٠٥هـ / ٩١٧م] بهدايا وألطاف كثيرة يلتمسان الهدنة فعمد القائمون على هذا الأمر إلى إظهار عظمة الإسلام وهيبته لهذين الرسولين اللذان سيبلغان الصورة ــ بدورهما ــ إلى ملكهما ومجتمعهما ، فترتب الأمر على أن يقابلا الوزير أولا ؛ لأنه من المتعذر مقابلة الخليفة ، وأن الوزير قد يقوم بدور الوسيط لذلك ، واصطف الجيش ــ وقوامه الرقيق ــ في الطريق من مكان نزولهما إلى دار الوزير ، وهناك عند الوزير انتظم الرقيق من الخدم والغلمان ، وبسطت الفرش والستور ، ثم فعل هذا الترتيب ، على مستوى عال ، بين دار الوزير والخليفة حيث انتقل الرسولان بعد مقابلة الوزير إلى الخليفة الذي أجابهما إلى الفداء . [٣]

٥ ــ دار الخلافة وما تتطلبه من خدم وحشم يليق بدار خلافة تدير الممالك والبلدان الشاسعة وتظهر قوة الإسلام وهيبة ملكه ، وليس من المعقول ولا من المقبول أن تكون دار الخلافة أقل شأنا من دار أحد الأمراء أو الوزراء أو غيرهم ، ومن المعروف أن الكثير من أمراء ووزراء العصر العباسي الأول كانوا يعيشون حياة مترفة تمثل القصور بما تمتلئ به من خدم وحشم وفرش .... إلخ قوامها ؛ ومن أبرز هؤلاء البراكمة [الفرس] ، فقد قيل إن جعفرا البرمكي أنفق على بناء داره عشرين ألف ألف درهم وهو ــ كما يبدو ــ لا يقل عن مليون و٣٠٠ ألف دينار ، غير ما يحتاج إليه هذا

---

[١] السابق : جـ٩ ص ٢٦٧ ــ ٢٩١ .

[٢] الصولى : كتاب الأوراق ــ قسم أشعار أولاد الخلفاء ــ تحقيق: ج . هيورث . دن ــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ مصر ــ أغسطس ٢٠٠٤م .

[٣] ابن مسكوية : تجارب الأمم ، تحقيق سيد كسروى حسن ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، جـ٥ ص٣٠ ــ ٣١ .

البناء من أثاث ورياش وخدم وحشم ... إلخ . [١]

ويروي لنا ابن كثير رواية تبين ــ بطريق غير مباشر ــ اتساع دار الخلافة ، وكثرة دهاليزها وحجرها [٢] بل إن ابن ابن كثير يحدثنا أنه في سنة [٦٠١هـ/ ١٢٠٥م] احترق بدار الخلافة من خزائن السلاح والأمتعة والمساكن ما يقارب قيمته ٤ ملايين دينار [٣] ، وهذا وإن كان متأخراً زمنا عن عصرنا إلا أن وجه الاستدلال قائم ، حيث وجود المضمون في وظيفة الدار ومكانتها واتساعها .

٦ ــ استخدامه كعطاء للشعراء : كذلك كان الخلفاء يستخدمون الرقيق كعطاء للشعراء ، ومن أمثلة ذلك ما فعله الرشيد مع الشاعر مروان بن أبي حفصة ، حيث أعطاه عشرة من رقيق الروم مع العطاء النقدي . [٤]

أما ما جاءت به الروايات من تصوير الخلفاء وهم يشركون الشعراء الماجنين أرباب الخلاعة والدعارة في شئون حريمهم من الجواري والقيان فأمر تنفيه الحقائق والوقائع ، فضلا عن سذاجته ؛ فبشار بن برد هذا هو الذي قتله المهدي ــ كما يذكر ابن المعتز ــ لأنه رمى بالزندقة كأصح الأخبار عند ابن المعتز [٥] ، كما أنه يقول في موضع آخر : "والصحيح عند أهل العلم أن المهدي قتله بهجوه يعقوب بن داود وزيره ..ما هذا التناقض ؟ وهو الذي استحال شعره إلى نداء صارخ للغريزة الجسدية ، نداء يندى له جبين الشرف والخلق مما جعل وعاظ بلدته ــ البصرة ــ من أمثال واصل بن عطاء ومالك بن دينار يصرخون به أن يكف عن غيه ، وتعالى صياحهم ونظرائهم حتى وصل سمع المهدي ، فهدده وأنذره أن ينزل به عقابه إن هو لم يزدجر ولم يرعو ، واضطر أن ينزل على مشيئته . [٦]

---

[١] د . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، دار الجيل ــ بيروت ، مكتبة النهضة ــ القاهرة ١٩٩٦م ، جـ٢ ص٣٤٤

[٢] ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار ، دار الغد العربي ــ مصر ١٩٩٠ ــ ١٩٩٢م ، جـ١١ ص٣٢٤ .

[٣] د . حسن إبراهيم حسن : السابق ،جـ٢ ص٣٤٤ .

[٤] الطبري ،جـ٨ ص٣٤٧ ــ ٣٤٩ .

[٥] ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ٢٤ .

[٦] د . شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص ٧٢ .

فكيف تتكشف تلك الواقعة لهذا الرجل الكفيف ، الذي لا يملك ، حسب ما وصف به وقيل فيه ، ودلت عليه أفعاله وأقواله ، من مقومات الفراسة شيئا ، تلك الفراسة التي تكون أحيانا أداة لاستجلاء الخفي ووصفه ... وأي فراسة ــ إن وجدت ــ تصل بصاحبها إلى هذه المكاشفة .

ثم هو أيضا لا يملك من قوة الإيمان ــ حسبما تبينه أفعاله وأقواله ــ ما يدنيه قد أثلة من استظهار هذا الغيب . ولا يبعد هنا ــ والحال هكذا ــ ما قيل عن رميه بالزندقة ، وهو شاعر فارسي ، يعد أحد رواد الفساد الخلقي وشيوعه في العصر العباسي الأول .

وهذا كله يعد أحد العوامل الرئيسية التي تنأى بتلك الرواية ــ مثل غيرها ــ عن الحقيقة

وهذا يكاد ينسحب أيضا على ما رواه ابن عبد ربه عن الأمين وجاريته ، والشعراء الثلاثة ، أما ما روى عن الهادي والرشيد والمأمون وشغفهن ببعض الجواري بالشكل الذي تضاءل أمامه أمر الخلافة وشخصية الخليفة إلى درجة يصبح معها قتيلا ، فهذا استخفاف بالعقول ومحو لدورها ، وتجاهل للحقائق والوقائع في حياة هؤلاء ، من التدين وصوره من صلاة وحج وصيام وتقوى وورع ... إلخ بشكل يناسب كونه إماما للمسلمين ــ كما سبق البيان .

أثر الرقيق في المجتمع العباسي

أما ما جاءت به الروايات من أخبار حول إسهام الجواري والقيان بنصيب كبير في شيوع المجون واللهو في المجتمع العباسي بجانب شعراء الدعارة والمجون ، أمثال أبي نواس وبشار بن برد وغيرهما ، وبسبب كثرتهن عند مختلف طبقات المجتمع وميلهن إلى اللهو والمغازلة والمجون ، فيمكن ذكر الأمور والوقائع في هذا الأمر في النقاط الآتية :

أولا : أن المبالغة في تصوير المجتمع على هذا النحو من المجنون والخلاعة واللهو بالشكل الذي يعم أفراده جميعاً ــ تقريباً ــ أمر ينأى عن الواقع وتأباه الحقائق ، لأن المجتمع مجتمع إسلامي ما زال يتمسك بكل قيمة وعاداته وتقاليده التي تستمد من العقيدة وتظلها وتباشرها الشريعة ، وهو مجتمع يحكمه خلفاء ذوو حزم وعزم يحاسبون على الصغير والكبير في مثل هذه الأمور وقد مر بنا محاسبة هؤلاء الخلفاء لمن تذل قدماه في هذا المترلق الذي يدخله حدود المحرم مثل شرب الخمر .

ثانيا : أن المجتمع الإسلامي كان يمتلئ بعلماء الدين من الفقهاء والمفسرين والمحدثين والوعاظ

، وكان لهؤلاء أثرهم الكبير في طبقات المجتمع المختلفة ، وقد وصل الأمر إلى وجود طبقة كبرى من الزهاد والمتصوفة الذين يعزفون عن الحلال أحياناً ــ تقربا إلى الله وزيادة في التقوى .

ثالثا : أن هذا الفساد ــ بصوره المختلفة ــ كان ينحصر في بعض الفئات والأجناس غير العربية ، وبعض الأماكن المحدودة ، فالفئات مثل الشعراء الماجنين أمثال أبي نواس وبشار بن برد وغيرهما ، والأجناس غير العربية مثل الفرس ، والترك ، وغيرهم ممن كان يربطهم بتاريخهم علاقة وثيقة بهذا المجون ، كما كان الكثير منهم ما زال على دينه القديم ، وينعم بحرية تتيح له ممارسة رغباته دون تقييد ، لاسيما وأن المرء يملك الرقيق ــ ذكوراً أو أناثاً ــ ملك يمين ، فهو يملكهم ، ويملك الاستمتاع بالجواري والقيان منهم .

أما الأماكن فكانت محدودة أيضا تكاد تنحصر في " الكرخ " من بغداد ، وبعض دور تجار القيان والجواري في بغداد والبصرة والكوفة ، ومن أشهر تلك الدور ــ كما ذكر البعض ــ دار ابن رامين المقين في الكوفة ، فقد جلب إليها طائفة من قيان الحجاز ، كان يختلف إليهن للشراب والسماع مطيع ابن إياس وصحبه من الشعراء وابن المقفع ومعن بن زائدة الشيباني وروح بن حاتم الباهلي ، وعلى شاكلتها دار إسماعيل القراطيسي المقين في بغداد ، وكانت مألفا لأبي نواس والحسين بن الضحاك وأبي العتاهية وغيرهم من الشعراء . [١]

---

[١] د . شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، ص ٦٨ .

بحث الثالث
الغلمـــان

أما الطامة الكبرى والبلوى العظمى في مصاف تلك البلايا ، والتي حاول هؤلاء المغرضـون وغيرهم إلحاقها بالخلفاء ، فهي التي تفوق الحد وتخرج الجد ، وتخنق الأخلاق ، وتضيق معها الآفـاق ، وهي مسألة الغلمان واقتناء الخصيان ، ومحاولة إلحاقها بهؤلاء الأخلاقيين من الرجال وإدعاء الـسيء من الأقوال والقبيح من الأفعال .

تقول إحدى روايات الطبري إن الأمين لما ملك " طلب الخصيان وابتاعهم ، وغـالى بهـم ، وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره ، وقوام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه .... ، ورفـض النـساء الحرائـر والإماء حتى رمى بهن.... ، " بل كانوا جزءاً رئيسياً من الذين وزع عليهم الأمين ما في بيوت الأموال وما بحضرته من الجواهر [١] وقد أورد البعض هذه الرواية ضمن إطار عام لديه من إفـراط الأمـين في لهوه وشرابه وغلمانه ، وأن هذه الأمور لا يسهل إنكارها عن الأمين [٢] كما أوردها أخر ـــ بطريـق الرواية ـــ دون أن تلقى هذه الشبهة عنده رمقا من الإنكار أو الشك على فداحة مـضمونها وعظـم جرمها ، بل إن أُمَه تجاريه على هذا الأمر ـــ ظاهريا ـــ محاولة درء هـذه القالـة ؛ إذ " تبعـث إليـه بعشرات من الجواري ، ألبستهن لبس الرجال ، حتى ينصرف عن الخصيان ، فكن يختلفن بـين يديـه وأبرزهن للناس ، ولم يلبث كثيرون أن جاروه في هذا الصنيع ، وكن يسمين بالغلاميات ، وعمت هذه البدعة في الساقيات بالحانات " [٣] ومن مصادر هذه الأخبار الشاعر الماجن أبو نواس الذي يعـد رأس الفساد الخلقي في العصر العباسي:

فهو يتغنى بهذا شعرا إذ يقول :

إحـــــــدوا الله جميعـــــــا يـــــا جميـــــع المـــــؤمنين

---

[١] تاريخ الطبري : جـ٨ ص٥٠٨ ـــ ٨٠٩، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٠١.

[٢] أحمد أمين : ضحى الإسلام، جـ١ ص١٣٤ .

[٣] د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، ص ٧٣ .

ثم قولـــــــوا لا تملـــــــوا ربنـــــا أبـــــق الأمينـــــا

صـــــير الخـــــصيان حـــــتى صـــــير التعـــــنين دينـــــا

فاقتـــــدى النـــــاس جميعـــــاً بـــــأمير المـــــؤمنين[١]

وفي هذا الإطار الماجن الذي يدمر الفطرة الإنسانية ، ويأتي على الكرامة الآدمية ، وتأباه حتى المخلوقات الحيوانية ، تأتي الروايات التي سممت وأفسدت كثيرا من كتب الأدب قـديمها وحـديثها ، ومن هذه الروايات تلك التي أوردها ابن عبد ربه عن المأمون وقاضيه يحيى بن أكثم بشأن أحد الغلمان من الجند ، تقول الرواية [٢] : خرج المأمون في يوم عيد وقد ركب الجند أمامه ومعه يحيى بـن أكـثم يضاحكه ويحادثه ، إذ نظر إلى غلام من الجند في غاية الفراهة ، عليه ثوب حرير أخضر ، وثوب موشي مزرر بالذهب ، فالتفت إلى يحيى بن أكثم فقال له : يا يحيى ، ما تقول في هذه البضاعة ؟ فقال يا أمـير المؤمنين ، إن هذا لقبيح من إمام مثلك مع فقيه مثلي قال : فمن الذي يقول :

قـــاض يـــرى الحـــد في الزنـــاء ولا يرى علـــى مـــن يلـــوط مـــن بـــاس

فقال : دعبل الذي يقول :

ولا أدري الجور ينقضي وعلى العامة وال لآل عباس .

قال : ينفي إلى السند ، وإنما داعبناك . ثم أنشأ المأمون يقول :

أيهـــــا الراكـــــب ثوبـــــا حريـــــــــر وحديـــــــــد

جئـــــت للعبـــــد وفي وجهـــــــ ـــــــك للأعـــــين عيـــــد

أنـــــت جنـــــدي ولكـــــن فيـــــك للحـــــسن جنـــــود

ومن ذلك أيضا ما جاء في إحدى روايات الأغاني عن إعجاب المأمون بغلام المعتـصم سـيما

---

[١] الطبري : تاريخ الطبري ،جـ٨ ص٥١٩ .

[٢] العقد الفريد : جـ٥ ص١٢٣ .

التركي وتغزله فيه ، حيث رآه عند المعتصم وقد انعكس على وجهه شعاع ساقط من ضوء الشمس فزاده حسناً. [١]

وهذا الأمر ــ كما سبقت الإشارة ــ أمر ينافي الطبيعة الإنسانية وتنفر منه الفطرة البشرية ؛ لأنه ضد تلك الطبيعة وعكس هذه الفطرة ، فضلا عن أنه أقبح ما يمكن أن يرمى به المرء في دينه وخلقه فكيف بنا مع خلفاء على هذا القدر وتلك المكانة التي عمت الآفاق ، وشهد بها القاصي والداني ؛ من عظم في الدين ودماثة في الخلق ، ومروءة في الطباع ، وما يمكن أن تولده تلك الخصال في شخصية صاحبها ، فضلا عن شموخ في الشخصية ، وعراقة في التاريخ ، وأصالة في النسب ، وقرب من سيد الخلق ونبي الحق ، وأقوال تثبت ذلك ، وفعال تجسده .

إن الكثير من مصادر هذه الأقوال وتلك الروايات ليسوا منها ببعيد في خلقهم ، وربما أفعالهم ، فأبو نواس مضرب المثل والنموذج الفريد في شتى ضروب الخلاعة والمجون في أعلى صوره بما في ذلك تلك الصورة السابقة ، وصاحب الأغاني ، لم يكن منها ببعيد أيضا في خلقه على الأقل، وهكذا والمتعجب منه أن تلك الأمور صادفت هوى لدى الكثير من المحدثين والمعاصرين فلقيت عندهم آذانا صاغية ، وفي صفحات كتبهم مساحات شاسعة ، بل زكتها أقوالهم وتبنتها أفكارهم ، وهم لا يبالون بجناية الأفكار ومصائب الأقوال ، فيما تخطه بالأقلام وتصدره من الأحكام .

---

[١] الأصفهاني : الأغاني ،جـ٢٠ ص٢٣٠ .

الخاتمة

وضع الكثير من القدامى والمحدثين ، من كتاب الأدب وبعض المشتغلين بعلم التاريخ ، خلفاء العصر العباسي الأول في إطار من الشهوات واللذات الماجنة ، شربا ولهوا وسمرا وغناء ... إلخ ، وجعلوا من هذه الأمور وما شاكلها مظهرا عاما لهذا العصر وسمة له بكل طبقاته، خلا فئة قليلة من العباد والزهاد ، وقد شارك في رسم هذه الصورة كتاب الأدب مثل أبي الفرج الأصفهاني في كتابه " الأغاني " ، وابن عبد ربه في " العقد الفريد " وآخرين أمثالهم ، وهؤلاء هم أصحاب النصيب الأكبر في كثرة هذه الشبهات ومحاولة إغراق العصر وخلفائه فيها ، ثم تأتي بعض الروايات التي نفذت إلى كتب التاريخ ، وأصبحت مصدراً للمغرضين ــ قدامى ومحدثين ــ ثم كتابات بعض النصارى حول هؤلاء الخلفاء وحياتهم الخاصة والعامة ، وقد ثبت دحض هذه الأمور كشبهة تقلل من شأن هؤلاء العظام في تاريخ الإسلام .

أما ما يخص السماع ، فإن من كان يسمع من الخلفاء ، كان يتبع أموراً ويلتزم حدوداً في سماعه وهي :

١ ــ سماع الجيد من الشعر ، فهم لم يسمعوا شيئا مما يخدش الحياء ويسيء إلى الأخلاق ، وإنما يسمعون ما يمتع سمعهم ويسد حاجة حسهم العربي الأدبي الرفيع ، فهم يتذوقون الشعر ويقرضونه ، وهم ينهون الشعراء وغيرهم عن ذكر النساء والعشق والفجور وما شاكل ذلك ، مثلما فعل المهدي مع بشار بن برد وغيره وكانوا يتوعدون الشعراء إن أجروا مثل هذا على ألسنتهم .

٢ ــ قلة السماع ، فهم خلفاء يقع على عاتقهم حمل أمة ، هي أكبر أمة آنذاك تحمل من الهموم والآلام وتتنوع بأجناسها ومذاهبها ، وتتسع بمكانها ، وتمتد بزمانها ، بما يشغل حاكمها ليلا ونهاراً .

٣ ــ السماع من وراء الستارة : وهو الأمر الذي حرص عليه جل هؤلاء الخلفاء ــ على الأقل ــ مراعاة لمكانتهم وحفاظا على هيبتهم واستجابة لخلقهم ، وكانت الستارة تتوسط أربعين

ذراعا بين الخليفة وقائل الشعر ، بل إن بعضهم كان يستخدم السواك من وراء الستارة .

أما الرقيق ، فإن الخلفاء تعاملوا معه من خلال ثوابت ووقائع وضرورات وهي :

ـــ أنه واقع قبل وأثناء عصرهم .

ـــ كثرة هذا الرقيق وتنوعه .

ـــ الحاجة الماسة لاستخدامه .

ـــ إجازة الشريعة الإسلامية لتملكه واستخدامه في صور كثيرة لم يخرج عنها الخلفاء .

وقد تمتع هؤلاء الرقيق ـــ ذكوراً وإناثا ـــ بكامل حرياتهم في عقائدهم وتقاليدهم ومظاهر حياتهم حسب أوطانهم ومجتمعاتهم ، وهو الأمر الذي افتقر إليه أمثالهم في الأمم الأخرى .

ومن صور الاستخدام الهامة لهؤلاء الرقيق :

ـــ أنهم كانوا يمثلون جزءا أساسيا من الجيش .

ـــ استخدامهم ـــ من غير المسلمين ـــ في فداء المسلمين واستنقاذهم من الروم .

ـــ اقتناء الأدبيات الشاعرات .

ـــ إظهار عظمة الإسلام من خلال التشريفات وغيرها .

ما يخص صفات هؤلاء الخلفاء وأخلاقهم طوال حياتهم ، وتجسيد هذه الصفات وتلك الأخلاق في أفعالهم وسلوكهم ، وهي أمور أجمع عليها المؤرخون والمتتبعون لحياة هؤلاء الخلفاء ، وعلى رأس تلك الصفات تدينهم ، وهو الأمر الذي مثل إطاراً كاملا ومصدراً أساسياً لمظاهر حياتهم ومضمونها ، فجاءت باقي الصفات والأخلاق نتاجا طبيعيا لهذا المصدر ، فبعضهم كان يحج عاما ويغزو عاما ، ويصلي مائة ركعة في اليوم ، ويتصدق بألف درهم في اليوم أيضا ، كما كانوا جميعا على حرص تام بتطبيق الحدود ، والمحافظة على فرائض الدين وسننه ، وإقامة العدل بين الرعية والمحاسبة والمعاقبة على من يمس الدين أو الخلق من الرعية حتى إن كان من خاصته ، فضلا عن صفات طبيعية في ذاتهم من الحزم ، والعزم ، والخلق الرفيع ، والسخاء ، والكرم في كثرة العطاء ، وغير ذلك مما يناقض تماما مع تلك الشبهات التي تورث عكس هذه الصفات .

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المصـــادر

* الأصفهاني ، أبو الفرج على بن الحسين بن محمد ت[٣٥٦هـ/٩٦٦م]

١ ــ الأغاني ، ط الدار التونسية للنشر ــ تونس ، دار الثقافة ــ بيروت ــ ١٩٨٣ .

* البغدادي ، أحمد بن علي الخطيب ت [٤٦٣هـ / ١٠٧١م]

٢ ــ تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ بدون تاريخ الطبعة .

* الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر [١٥٩ــ ٢٥٥هـ /٧٧٦ ــ ٨٦٨م] .

٣ ــ كتاب التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكي باشا ــ القاهرة ــ ١٩١٤م .

* الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان ت [٧٤٨هـ / ١٣٤٧م]

٤ ــ سير أعلام النبلاء ، تحقيق محب الدين العمروي ، دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

* الصولي : أبو بكر محمد بن يحي [٢٥٥ ــ ٣٣٥هـ / ٨٦٩ ــ ٩٤٧م] .

٥ ــ كتاب الأوراق [قسم الراضي بالله والمتقي لله] أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣هـ ، تحقيق ج.ميورث . د . ن ــ الهيئة العامة لقصور الثقافة [الزخائر ــ ١٢٣] ــ مصر ــ أغسطس ٢٠٠٤م .

* الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، ت [٣١٠هـ/ ٩٢٢م]

٦ ــ تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ــ ١٩٧٧ ، ١٩٧٩م .

* ابن عبد ربه : أحمد بن محمد ، ت [٣٢٨هـ / ٩٣٩م]

٧ ــ العقد الفريد ، تحقيق د . عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ــ بيروت .

* ابن قتيبة : أبو عبد الله ابن صدر مسلم ، ت[٢٧٦هـ / ٨٨٩م] .

٨ ــ الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ــ مصر ١٩٨٢م .

* ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، ت[٧٧٤هـ / ١٣٧٢م] .

٩ ــ البداية والنهاية ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار ، دار الغد العربي ــ القاهرة ١٩٩٠ ــ ١٩٩٢م .

* المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين ت [٣٤٥هـ/ ٩٣٦م]

١٠ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ــ بيروت ــ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

* ابن مسكوية : أحمد بن محمد بن يعقوب ، ت[٤٢١هـ / ١٠٣٠م] .

١١ ــ تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق سيد كسروى حسن ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

* ابن المعتز : عبدالله بن جعفر بن محمد ت [٢٤٧ــ ٢٩٦هـ /٨٦١ــ ٩٠٩م].

١٢ ــ طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨١م .

ثانيـــا : المراجـــع

* أحمد أمين

١٣ ــ ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م .

* آدم ميتز

١٤ ــ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ت . محمد عبد الهادي أبو ريـــدة ، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .

* أندريه ميكيل

١٥ ــ الإسلام وحضارته ، ت د . زينب عبد العزيز ، المكتبة العصرية ــ بيروت ــ ١٩٨١م .

* حسن إبراهيم

١٦ ــ تاريخ الإسلام ، دار الجيل ــ بيروت ــ مكتبة النهضة المـــصرية ــ القـــاهرة ــ ط ١٤ ١٤١٦هـــ / ١٩٩٦م .

* د / شوقي ضيف

١٧ ــ تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨٦م .

* محمد الخضري

١٨ ــ الدولة العباسية ، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٧٠م .